الفصل السادس
تطور الإذاعة التقليدية[1]،
وأهميتها ومميزاتها وسلبياتها

هناك مقولة أثبتتها الأيام، وهي أن كل وسيلة اتصالية، هي نتيجة مباشرة لاختراع علمي أو تكنولوجي .. ويضيف البعض لها، أن تطوير هذه الوسيلة أو تلك، مرهون بالجهد العلمي والتكنولوجي، الذي يعمل على الارتقاء بها .. فلولا نجاح (جوتنبرج) في مينز بألمانيا عام 1454م في اكتشاف الطباعة بالحروف المتحركة، لما كانت الصحافة .. ولولا ابتكار (صامويل مورس) للتلغراف في سنة 1835م، واختراع (ألكسندر جراهام بل) للتليفون في سنة 1876م لما وجدت وكالات الأنباء .. ولولا اكتشاف موجات الراديو سنة 1888م والبث البرقي عبر هذه الموجات سنة 1896، لما تم بث الكلمة المنطوقة عبر موجات الراديو سنة 1900م، ولما أصبح هناك وسيلة اسمها الإذاعة[2].

فكل هذه المخترعات، من طباعة، وتلغراف، وتليفون، كانت مقدمة صحيحة لظهور الإذاعة (الراديو)، التي تجمع كل هذه الخدمات، وتحققها بأيسر السبل، وأقل التكاليف ..

---

(1) يرجى مراجعة الفصلين الثامن والثاني عشر بالباب الرابع من هذا الكتاب؛ لصلتها الوثيقة بهذا الفصل.

(2) فائق فهيم: التطور التاريخي للتليفزيون وموقعه بين وسائل الإعلام، (العدد الأول من سلسلة بحوث ودراسات تليفزيونية)، إصدار جهاز تليفزيون الخليج (الرياض 1403 هـ، 1983م)، ص 4، وانظر أيضًا جيهان أحمد رشتي: النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، دراسة في الإعلام الدولي، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1978م)، ص 3، 4.

فالإنسان يستمع الآن إلى موجات أية إذاعة في العالم، بمنتهى السهولة واليسر، فما عليه إلا أن يدير مفتاحًا صغيرًا، ثم يحرك مؤشرًا إلى أي اتجاه؛ ليستمع إلى أي الإذاعات شاء[1].

وإذا كانت الإذاعة (الراديو) كوسيلة إعلامية جماهيرية سمعية، أصبحت ظاهرة لها صفة الشيوع والانتشار، وتحتل مركزًا مهمًّا بين غيرها من وسائل الاتصال الجماهيرية، قد توحي بعراقة تاريخها، وقدم اكتشافها واستخدامها - إلا أنها في الواقع وليدة العصر الحديث، وهي تطبيق لنظريات واستنباطات لبحوث وتجارب أجريت في أواخر القرن التاسع عشر، حول إرسال واستقبال الموجات الكهرومغناطيسية من خلال الفضاء، فالإذاعة (الراديو) كوسيلة للاتصال، هي مجرد تطور للتليفون والراديو، وليست ظاهرة جديدة في حد ذاتها؛ فقد استخدم الراديو في مجالات أخرى عديدة، ولم يكن للإذاعة أسبقية في استخدام الموجات الهوائية. فقد استخدمت السفن والطائرات اللاسلكي، واستخدمه رجال الأعمال في عقد الصفقات، وتبادل الأخبار، ولكن استخدام الراديو بهذه الطريقة لا يعتبر إذاعة.

والإذاعة (الراديو) لم تبلغ سن الرشد، إلا في الربع الأول من القرن العشرين الماضي، واستطاعت هذه الوسيلة في مدة لا تتجاوز نصف قرن، أن تكون في المركز الأول بين كافة وسائل الإعلام الأخرى حينئذ؛ من حيث الانتشار، وقوة التأثير، ونشر الثقافة والتوجيه، وأصبح جهاز الراديو - خاصة بعد انتشار (الترانزستور) ورخص سعره، بالإضافة إلى عدم اعتماده على الكهرباء - جزءًا لازمًا لحياة الإنسان في أي مكان، وأصبح أداة هائلة من أدوات التأثير على الملايين، يعتمد على الكلمة المذاعة، التي لها سحرها وقوتها الإيحائية[2].

ولكن ما هي قصة تلك البدايات، التي أدت إلى اكتشاف الإذاعة؟

يرجع الكثيرون اكتشاف الراديو إلى سنة 1896، حينما أظهر مخترع إيطالي شاب يبلغ من العمر عشرين عامًا، وهو (جوجليلمو ماركوني، Juglelmo Marconi)[3] عمليًّا، أنه في

---

(1) المرجع الثاني السابق، ص 5؛ وكذلك بدر أحمد كريم: نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي، (جدة - تهامة الطبعة الأولى 1402 هـ 1982م)، ص 17.

(2) يوسف مرزوق: الخدمة الإخبارية في الإذاعة الصوتية، دراسة حول القائم بالأخبار، القاهرة 1986، ص 18؛ وانظر كذلك، يوسف مرزوق: جرفية الفن الإذاعي، القاهرة، الأنجلو المصرية، 1975م، ص 5، 6.

(3) **ماركوني (1874-1937):** عالم فيزيقي إيطالي، حصل عام 1909 على جائزة نوبل بالاشتراك، للتحسينات التي أدخلها على الإرسال التلغرافي اللاسلكي، أما إسهاماته الرئيسة فتقوم على عمله الأخير في الموجات الألكترومغناطيسية، ونقل إشارات الموجة الطويلة عام 1895، والإشارات عبر الأطلنطي عام 1901م.

الإمكان إرسال إشارة كهرومغناطيسية من خلال الفضاء، ولكن الواقع أن العلماء كانوا يجرون التجارب قبل ذلك بنصف قرن، في مجال الكهرباء، والكهرومغناطيسية، ووضعت تلك التجارب الأساس لتجربة ماركوني الناجحة .. ومن أولئك العلماء الذين سبقوا ماركوني في هذا المجال نجد (ميخائيل فراداي)، و(تشارلس وينستون)، و (وليم أوف كوك)، و (صامويل مورسي)؛ فقد ساهم أولئك العلماء وغيرهم، في دراسة الكهرومغناطيسية، وانتشار الأمواج الكهرو مغناطيسية.

وقد اكتشف (جيمس ليندزي) أن الماء موصل للكهرباء، وأنه من الممكن الاتصال بالطرف الغربي من المحيط الأطلنطي، بدون استخدام الكابل، بإقامة محطات إرسال في المحيط كل عشرين ميلا[1].

وقد عاونت ماركوني، اكتشافات مهمة توصل إليها كل من: عالم طبيعيات إنجليزي لامع هو (جيمس كلارك ماكسويل Jam s Clark Maxcuell)، الأستاذ في كلية الملك بلندن، وكذلك العالم الألماني (هينريش هيرتز Heinrich Hertz)، والعالم (إدوارد برانلي Edward Branly). فقد توصل ماكسويل في عام 1865 في دراسته للكهرباء، والكهرومغناطيسية، إلى نظرية تقول: إن موجات الكهرومغناطيسية، يمكن أن تنتقل من خلال الهواء بسرعة الضوء.

وبعد ذلك بعشرين عامًا أثبت هيرتز صحة نظرية ماكسويل، وقام بإجراء عدة تجارب في السنوات العشر التالية، على طرق إنتاج هذه الموجات الكهرومغناطيسية، واستطاع قياس طولها، وسرعتها قياسا صحيحًا. فقد اكتشف أن سرعة تلك الموجات، مثل سرعة الضوء (186 ألف ميل في الثانية) .. أما إدوارد برانلي، فقد عاون على اكتشاف الراديو[2]، حينما أعد جهازًا صالحًا للعمل، قادرًا على اكتشاف موجات هيرتز الكهربائية[3].

---

(1) النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 6.

(2) الراديو هو الإرسال والاستقبال اللاسلكي للنبضات أو الإشارات الكهربائية بواسطة موجات كهربائية .. واستخدام هذه الموجات لنقل النبضات الكهربائية التي يحول إليها الصوت نقلا لاسلكيًّا.

(3) المرجع السابق نفسه، ص 6؛ وانظر كذلك، والتركينجستون وروم كاوجيل ورالف اليفي: الإذاعة بالراديو والتليفزيون (ترجمة نبيل بدر)، القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، (بدون تاريخ)، ص 183.

ولقد عاونت اكتشافات أولئك العلماء، ماركوني على الوصول إلى اختراعه، الذي سجله في إنجلترا في يونيو 1896، فقد حفز أحد التقارير التي نشرت عن نتائج أبحاث هيرتز في عام 1894 ماركوني، فأقام معملا في منزله؛ ليجري تجارب على الاستخدام العملي للموجات الكهرومغناطيسية.

وفي يوليو 1896 نجح جهاز ماركوني (اللاسلكي) في إرسال واستقبال إشارة على بعد مائة ياردة، من غير أن يستعمل الأسلاك .. وكانت تلك هي الحلقة الأولى من سلسلة من التجارب حول الاتصال اللاسلكي.

وأقام شركة لتطوير اختراعه على أساس تجاري، ولزيادة المسافة التي يمكن إرسال الإشارات اللاسلكية إليها، حيث تمكن في غضون عامين بعد ذلك، من زيادة المسافة بين الإرسال والالتقاط اللاسلكي، إلى 34 ميلا في أغسطس سنة 1897، وأخذت هذه المسافة تزداد شيئًا فشيئًا عامًا بعد عام.

وبدأت البواخر البريطانية تستخدم اكتشاف ماركوني للاتصال فيما بينها، وفي عام 1898 قدم ماركوني عرضًا لما يستطيع الراديو أن يحققه في إرسال الرسائل اللاسلكية، عندما كلفت جريدة "ديلي إكسبريس"[1] في دبلن، شركة ماركوني، بنقل أخبار بعض المسابقات الرياضية بالراديو، من كنجز تاون. وأرسلت فعلا تقارير عن تلك المباريات بواسطة (كود رموز مورس Morse Code)[2]، من السفينة إلى محطة الشاطئ، ومن تلك المحطة نقلت التقارير الصحفية تليفونيًّا إلى مكتب جريدة الديلي إكسبريس .. وبهذا تلقى قراء الجريدة تقريرًا عن هذا الحدث الرياضي في اليوم نفسه؛ الأمر الذي ألهب خيال الجمهور، وفي عام 1900 منح ماركوني امتيازًا خاصًّا باكتشافه.

ولم يمض زمن طويل، حتى كان العالم الإيطالي الشاب (ماركوني) قد أوجد طريقًا إلكترونيًّا، يصل بين القارتين الأوربية والأمريكية؛ حيث استمع ماركوني في عام 1901إلى

---

(1) **ديلي إكسبريس:** جريدة يومية صباحية بريطانية مستقلة، تأسست في لندن عام 1900، وتملكها مؤسسة (إكسبريس نيوز بيبرز)، وهي رفيقة لجريدة (صنداي إكسبريس) الأسبوعية. (قاموس المصطلحات الإعلامية)، للمؤلف، ص 103 - 132.

(2) **رموز مورس:** نظام مؤلف من نقط وقواطع، يستخدم لتوجيه الرسائل البرقية وغيرها، قاموس المصطلحات الإعلامية، للمؤلف، ص 216.

رسالة كان قد بعث بها عبر الأطلنطي، من محطة إرسال في (كورنوول) بإنجلترا إلى (سان جون) في ولاية نيوفوند لاند بالولايات المتحدة الأمريكية .. وفي البداية استخدم الاتصال بالراديو في العام نفسه (1901) بين الفنارات البحرية في الشاطئ الشمالي لأيرلندا؛ لمعرفة السفن القادمة.

وسرعان ما استخدم الراديو في إرسال الرسائل للسفن وهي في البحر؛ حتى تغير اتجاهها، واستقبال إشارات الاستغاثة، في حالة حدوث كارثة بعيدًا عن الشاطئ[1].

ولقد تأكد الدور الذي يمكن أن يلعبه الإرسال اللاسلكي بالراديو، بعد أن قام هذا الإرسال بدور حيوي في تفادي أخطار سلسلة من الحوادث، وقعت في فترة زمنية قصيرة، أو التقليل من أخطارها .. ففي سنة 1899 أقامت إحدى شركات منشآت ماركوني الأولى، منارة عائمة على مضايق دوفر؛ لتمكن السفن من الاتصال بالشاطئ، وبعد إنشائها بشهر، استخدم جهاز الإرسال فيها؛ لنقل أخبار حدوث أضرار شديدة بالمنارة العائمة نفسها؛ بسبب عاصفة شديدة، وأرسلت إليها معونة سريعة .. وبعد ذلك بثلاثة شهور، دخلت سفينة شحن في الضباب الكثيف، واستخدم الراديو في طلب النجدة .. وفي سنة 1900، اصطدمت السفينة الإيطالية (فلوريدا) بالسفينة البريطانية (تيتانيك) على بعد 175 ميلا من نيويورك، وأرسلت مباشرة إشارات الاستغاثة، التي التقطتها محطة على الشاطئ الأمريكي، وأعادت إرسالها إلى السفن التي كانت موجودة في المنطقة؛ حيث تم إنقاذ كل المسافرين والبحارة على السفينة (ريبلك) قبل أن تغرق، كما نقل ركاب السفينة (فلوريدا) التي أصيبت إصابات شديدة إلى سفينة أخرى .. وفي أبريل 1912 تعرضت السفينة (تيتانيك) إلى كارثة ذهب ضحيتها ألف وخمسمائة راكب، ولكن بسبب استخدام الراديو، أمكن إنقاذ سبعمائة راكب آخرين قبل أن يغرقوا[2].

---

(1) المرجع الأول السابق، ص 6، 7؛ وكذلك المرجع الثاني السابق، ص 183؛ وانظر كذلك، جون فلوهرني: قصة التليفزيون، ترجمة أسعد نجار (بيروت – دار الثقافة للطباعة والنشر 1959)، ص 17.

(2) النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 7؛ وكذلك الإذاعة بالراديو والتليفزيون، مرجع سابق، ص 184.

نشأة الإذاعة:

إن الإذاعة – كوسيلة اتصال جماهيرية – تعتبر تطورًا للراديو والتليفون، وليست ظاهرة فنية جديدة في حد ذاتها؛ فقد استخدم الراديو في مجالات أخرى عديدة، ولم يكن للإذاعة أسبقية في استخدام الموجات الهوائية؛ فقد استخدمت السفن والطائرات اللاسلكي، واستخدمه رجال الأعمال في عقد الصفقات وتبادل الأخبار – كما سبق إيضاحه – ولكن استخدامات الراديو بهذه الطريقة لا يعتبر إذاعة[1].

ففي الوقت الذي كانت تجري فيه التجارب، لإرسال الإشارات باللاسلكي، كان رجال آخرون يقومون بإجراء تجارب على استخدام اللاسلكي؛ لنقل الصوت البشري بدلا من الإشارات اللاسلكية .. فقد اخترع (سير جون فلمنج Sir John Fliming) في عام 1904 الصمام الكهربائي، واخترع العالم الأمريكي (لي دي فورست Lee de Forest) المكبر ذا الصمام الثلاثي، وهي خطوة كبرى في تنمية الإلكترونيات .. وفي العام نفسه (1904)، نجح عالم أمريكي آخر، هو (ريجنالد فندن)، في إرسال الكلام عن طريق اللاسلكي، بإذاعة صوت إنسان من المحطة التي أقامها في ولاية (ماساشوستس Massachusetts) الأمريكية.

وبعد ذلك بعامين ذهب (دي فورست) إلى فرنسا، وأقام محطة إذاعة (برج إيفل)، وتمكن من إذاعة الموسيقى في عام 1910، وقد بينت هذه التجارب المبكرة، إمكان إرسال الصوت والموسيقى عن طريق اللاسلكي، إلا أن قيمتها العلمية لم تكن قد تقررت بعد. ومع استمرار الأبحاث وتحسن الإرسال والاستقبال، بدأ الناس في تجربة طرق استعمال الراديو، وكان ذلك هواية، يمارسها بعض المتحمسين للراديو؛ من أجل المنفعة العامة[2].

وعلى سبيل المثال، استمع آلاف من الهواة في منطقة نيويورك إلى الإذاعات الإخبارية عن انتخابات الرئاسة الأمريكية في سنة 1916، من محطة (دو فورست) في برونكس .. وفي عام 1917 دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الأولى، وقد عانى التطور العام للراديو نكسة مؤقتة؛ نتيجة للحرب، حيث سيطرت أغلب الدول المتحررة، على كل أجهزة اللاسلكي التجارية، وأجبرت محطات الهواة على إبطال أجهزتها.

---

(1) المرجع الأول السابق، ص 8.

(2) الإذاعة بالراديو والتليفزيون، مرجع سابق، ص 184.

وحينما انتهت الحرب، كان الوقت مهيئًا لتطور الإذاعة بشكل منتظم. فالتجارب التي سبقت الحرب، واستخدامات الراديو أثناء الحرب، والتدريب الفني الذي تلقاه كثير من الشباب - عاون كل ذلك على تكوين جيش من الهواة المتعطشين لتطوير الإذاعة[1]. وفي عام 1919، بدأت ثلاث شركات اتصال كبرى، وهي: شركة (جنرال إلكتريك General Electric) وشركة (وستنجهاوس Westinghouse) وشركة (وسترن إلكتريك Western Electric) في صناعة المعدات والأجهزة، بعد أن اشترت امتياز اختراع شركة ماركوني الأمريكية، وأنشأت هذه الشركات الثلاثة (هيئة الراديو الأمريكية آر. سي. إيه. Radio Corporation of America "RCA")، التي تتولى بيع منتجاتها[2].

ولكن الإذاعة (الراديو) لم تصبح حقيقة واقعة إلا في عام 1920، وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الأولى التي أجريت فيها أول تجارب في هذا الحقل. وقد تبعتها بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، ونشطت أستراليا، وكندا في هذا المضمار في تاريخ يعتبر مبكرًا نسبيًّا؛ ففي عام 1920 بدأ الدكتور (فرانك كوفراد)، المهندس في شركة وستجنهاوس في مدينة بتسبرج بولاية بنسلفانيا الأمريكية على نهر الأوهايو، بتشغيل محطة راديو KDKA التي تملكها الشركة؛ حيث كان يذيع الموسيقى المسجلة، ونتائج المباريات الرياضية، وما يشبه - إلى حد ما - برنامج ما يطلبه المستمعون.

وقد أثارت برامجه غير الرسمية هذه اهتمامًا شديدًا؛ مما دعا الصحافة إلى كتابة تقارير إخبارية عنها، كما شجع نجاح تلك الإذاعة أحد أصحاب المحال التجارية في بستبورج، على عرض أجهزة استقبال جاهزة، أعلن عنها في صحف المدينة، وحدد ثمن الجهاز بعد تجربته في المحل بعشرة دولارات فقط[3].

ولكن يؤرخ عادة تاريخ الراديو في الولايات المتحدة الأمريكية كخدمة إذاعية اعتبارًا من يوم 2 نوفمبر 1920 حيث قامت تلك المحطة (KDKA)، والتي افتتحتها شركة وستنجهاوس كأول محطة تجارية تحمل ترخيصًا بالإذاعة.

---

(1) النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 9.

(2) المرجع السابق، ص 46؛ وكذلك الإذاعة بالراديو والتليفزيون، مرجع سابق، ص 185.

(3) خليل صابات: وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها (القاهرة، الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، 1982)، ص 239.

وكان أول برامجها إذاعة نتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية بين كوكس وهردنج (Cox – Harding)، وفي الوقت نفسه بدأت تذيع برامج منتظمة. وخلال الأشهر القليلة الأولى لتشغيلها، أذاعت وصفًا صوتيًّا لمباريات رياضية في الملاكمة والبيسبول والمسرحيات، وغيرها.

ونتيجة لذلك أصبحت الإذاعة محورًا لحديث الناس، وأثارت اهتمام أعداد كبيرة منهم. وازدهر بيع أجهزة الراديو، وأجزائها التي تصنع منها أجهزة الاستقبال في المنازل. وتبع ذلك – على الفور – زيادة كبيرة في عدد محطات الإرسال. وفي عام 1922، كانت هناك خمسون محطة تجارية مرخصة، ووصل العدد في عام 1923 إلى خمسمائة وخمسين محطة[1].

ومن الولايات المتحدة الأمريكية، انتقلت الإذاعة إلى أوربا، وقد أثر في ذلك التطور الذي حدث في أجهزة الإرسال والاستقبال، وكانت (بريطانيا) أول دولة أوربية تنشئ محطة إذاعة، حيث قامت جريدة (الديلي ميل Daily Mail) [2] البريطانية في 15 يونيو 1920 بتنظيم برنامج إذاعي من تشلنسفورد.

وفي ديسمبر عام 1922، تم إنشاء (شركة الإذاعة البريطانية)؛ لتبث برامجها من لندن يوميًّا، وسرعان ما انتشرت محطات الإرسال في كل أنحاء بريطانيا؛ مما دفع الحكومة للتدخل في أول يناير 1927، بإنشاء (هيئة الإذاعة البريطانية British Broadcasting Corporation BBC"")[3]. وتم حل شركة الإذاعة البريطانية، وتعويض حملة أسهمها من الأفراد، وتحويل

---

(1) المرجع السابق نفسه؛ وكذلك الإذاعة بالراديو والتليفزيون، مرجع سابق، ص 185؛ وأيضًا النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 47.

(2) **جريدة الديلي ميل:** بريطانية يومية صباحية، تأسست في لندن عام 1806، وقد ضمت إليها جريدة (نيوز كرونيكل) في عام 1960، وجريدة (ديلي سكتش) عام 1971، وهي مستقلة وتمتلكها مؤسسة (أسوشيتد نيوز بيبرز جروب لمتد)، (قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، ص 103).

(3) **هيئة الإذاعة البريطانية:** تعمل الإذاعة في بريطانيا حاليًا كامتياز منح بمرسوم ملكي إلى هيئة الإذاعة البريطانية، والتي أنشئت في أول يناير 1927، باعتبارها هيئة عامة عليها التزامات معينة تجاه الحكومة، ولكنها لا تخضع لأي إشراف حكومي، ويرأسها رسميًّا مجلس أمناء، تعينه الملكة عن طريق رئيس الوزراء. ويتم تمويل الهيئة من رسوم رخص الراديو، ودخل مجلة الإذاعة الأسبوعية التي تنشر برامج الإذاعة، ولا تهدف لتحقيق الربح ولا تقدم الإعلانات، ولها (57) محطة تبث برامجها على نطاق الجزيرة البريطانية كلها، إلى جانب ست محطات إقليمية (قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، ص 44.

كل رأسمالها إلى الهيئة الجديدة .. وقد توافرت إلى (روسيا) إمكانات إرسال الصوت قبل الحرب العالمية الأولى بوقت قصير. وبدأت أولى المحطات تعمل في موسكو سنة 1914، وبعد انتهاء الحرب بدأت في أغسطس 1922 إذاعة تجريبية، ولكن الإذاعة المنتظمة لم تبدأ في روسيا إلا في أكتوبر 1924م.

وإذا انتقلنا إلى (فرنسا) وجدنا أن القطاعين العام والخاص قد قاما بتطوير الإذاعة، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى. حيث قدم الكولونيل (فريبه) في عام 1921 برامج إذاعية من برج إيفل في باريس، والذي يبلغ ارتفاعه ألف وستة أقدام. ثم ظهرت في عام 1923 ثلاث خدمات إذاعية حكومية وخاصة .. وفي النصف الثاني من عام 1923 أصبح في (ألمانيا) محطة إذاعة تقدم برامج منتظمة من برلين. وفي السنة نفسها (1923) دخلت (أستراليا) ميدان الإذاعة الصوتية. وما أن انتصفت سنة 1924 حتى كانت هناك محطة راديو على الأقل، في كل دولة من دول العالم المتقدم. وفي السنة التالية (1925)، أصبح في العالم حوالي ستمائة محطة إذاعة، وفي سنة (1935) ارتفع عدد المحطات إلى أكثر من الضعف بقليل.

وفي سنة (1960)، قفز عدد هذه المحطات إلى أكثر من سبعة آلاف وخمسمائة محطة، ولا تكاد توجد اليوم منطقة في العالم لا يغطيها برنامج إذاعي منتظم[1].

اتحادات ومنظمات إذاعية:

وجدير بالذكر أنه يوجد حاليًا، عدد من الاتحادات والمنظمات الإذاعية، الدولية والإقليمية، تهتم بتنظيم الإذاعة عبر الحدود، وتعمل على تحقيق التنسيق، والتعاون بين المنظمات الإذاعية المختلفة .. وغالبية تلك الاتحادات والمنظمات، التي أنشئت في مختلف القارات، لها طبيعة دولية وغير حكومية، وقد تأسس بعضها على أساس جغرافي، بينما تأسس البعض الآخر لتجمع الدول التي تشترك في استخدام لغة واحدة. ومن بين تلك الاتحادات والمنظمات ما يلي:

---

(1) وسائل الاتصال، مرجع سابق، ص 230؛ وانظر أيضًا النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص 256، ص 370 – 374؛ وكذلك جيهان أحمد رشتي، النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية (القاهرة – دار الفكر العربي، 1979)، ص 89 – 90؛ وكذلك إجلال خليفة، الوسائل الصحفية وتحديات المجتمع الإسلامي المعاصر، (القاهرة، الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 1980)، ص 48.

1- الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية (ITU):

International Telecommunication Union

وهو وكالة خاصة تابعة للأمم المتحدة، ويرجع تاريخ إنشائه إلى عام 1865، عندما اجتمع مندوبو عشرين دولة في باريس، وعقدوا اتفاقية دولية، تقرر بمقتضاها إنشاء (اتحاد تلغراف دولي). ووقعت على فترات زمنية مختلفة عدة اتفاقات دولية للتغراف، والتليفون، والراديو. وكان آخرها الاتفاقية التي وقعت في مدريد في 9 ديسمبر 1932، وأصبحت نافذة في أول يناير 1934، وبمقتضاها حل (الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية) محل اتحاد التلغراف الدولي. ويوجد مقر هذا الاتحاد في مدينة جنيف بسويسرا.

ومن أغراضه: العمل على وضع تنظيم دولي للتلغراف والتليفون والراديو، وتشجيع التعاون الدولي لتحسين وسائل الاتصال السابقة، والعمل على تقدم الإمكانات الفنية للمواصلات السلكية واللاسلكية، وتوزيع الموجات اللاسلكية وتسجيلها، وتعزيز التدابير المتخذة للمحافظة على الأرواح بواسطة تعاون جميع المحطات اللاسلكية[1].

2- المنظمة الدولية للراديو والتليفزيون (OIRT):

Internatyional Radio and Television Organization

يشار إلى هذه المنظمة بالحروف الأولى لاسمها باللغة الفرنسية (OIRT)، وقد تأسست في سنة 1946، وسكرتيريتها العامة ومركزها الفني في براغ، وأعضاؤها الأساسيين في أوربا.

وقد خرجت منها الدول الأوربية الغربية سنة 1950؛ لتشكل اتحاد الإذاعات الأوربية. ومنذ ذلك الحين أصبحت المنظمة مؤسسة تصب فيها دول أوربا الشرقية برامجها؛ لتوفرها للدول الأعضاء فيها، أو للدول المحايدة، ومن أعضائها: ألبانيا، وبلغاريا، وكوريا الديمقراطية، ومالي، ومنغوليا، وبولندا، ورومانيا، وفيتنام، والاتحاد السوفيتي[2].

---

(1) دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، الموسوعة العربية الميسرة (القاهرة، الطبعة الثانية، 1972)، ص 48.

(2) جيهان أحمد رشتي: الإعلام الدولي بالراديو والتليفزيون، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1979)، ص 158، وص 175، وهامش ص 248.

3- اتحاد الإذاعات الأوربية (EBU):

European Broadcasting Union

تأسس في 12 فبراير 1950، وحل محل (الاتحاد الدولي للإذاعة)، الذي كان قد أنشئ في عام 1950 في جنيف، وصادف عقبات كثيرة خلال الحرب العالمية الثانية، حتى انتهى وجوده رسميًّا في مايو 1950، ومقر الاتحاد الإداري حاليًا في جنيف، ومركزه الفني في بروكسل، ويضم في عضويته إذاعات الدول الأوربية الغربية[1].

4- الرابطة الأمريكية للإذاعة:

American Broadcasting League (ABL)

تأسست في سنة 1946، وهي مكونة من الجمعيات الإذاعية القومية في القارة الأمريكية. ومقرها في مدينة مونتيفيديو، عاصمة أوروجواي بأمريكا الجنوبية[2].

5- اتحاد هيئات الراديو والتليفزيون القومية الإفريقية (URTNA):

Union of National Radio and Television Organization of Africa:

ويشار إليه دائمًا بالحروف الأولى لاسمه بالفرنسية (URTNA)، وقد أنشئ عام 1962، ومقره في (داكار) بالسنغال، وله مركز فني منفصل في مالي. وحقوق العضوية مقصورة فيه على الدول الإفريقية فقط[3].

6- اتحاد الإذاعات الآسيوية (ABU):

The Asian- Pacific Broadcasting Union:

تأسس هذا الاتحاد رسميًّا في يوليو 1964، ومقره في طوكيو، ولغته الرسمية الإنجليزية، وينتمي إليه المنظمات الإذاعية في الدول الآسيوية، ودول المحيط الهادي[4].

---

(1) المرجع السابق، ص 158 و 162 وما بعدها.

(2) المرجع السابق، ص 159.

(3) المرجع السابق، ص 159، و181.

(4) المرجع السابق، ص 159، وص 177 وما بعدها.

الإذاعة في العالم العربي[1]:

وبالنسبة للعالم العربي، فقد كانت (مصر) أول بلد عربي يعرف محطات الإذاعة، وكان ذلك في عام 1925، أي بعد إنشاء أول محطة إذاعية منتظمة في العالم بحوالي خمس سنوات، وكانت هذه المحطات الإذاعية أول الأمر ملكًا لبعض الأفراد من الهواة، وتعتمد في تمويلها على الإعلانات التجارية.

وفي 10 مايو 1926، صدر مرسوم ملكي، يحدد الشروط التي يمكن بموجبها استخراج التراخيص باستخدام الأجهزة اللاسلكية في "القطر المصري"، طبقًا للاتفاقيات الدولية. وبموجب هذا المرسوم أخذ هواة اللاسلكي ينشئون محطات إذاعة أهلية في القاهرة والإسكندرية. وكان بعضها يذيع باللغة العربية، وأصحابها من المصريين و"الشوام"، وبعضهم الآخر يذيع باللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية للأجانب في مصر، وأصحابها من الأجانب المتمصرين[2].

وقد تم إيقاف هذه المحطات جميعًا عن البث في 29 مايو 1934؛ لضعف إمكاناتها، لتترك مكانها للمحطة الحكومية التي بدأت إرسالها بعد ذلك بيومين، أي في 31 مايو 1934،

---

(1) راجع في ذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، من ص 233 حتى ص 255؛ وكذلك ماجي الحلواني، الإذاعات العربية (القاهرة – دار الفكر العربي، 1982)، كل إذاعة دولة في موضعها من الكتاب؛ وكذلك فوزية فهيم، الفن الإذاعي عن العدد (51) من سلسلة كتابك الذي تصدره دار المعارف بمصر، (بدون تاريخ)، ص 8 وما بعدها.

(2) كانت هذه المحطات تذيع تحت أسماء مختلفة، ومنها على سبيل المثال: راديو صايغ وراديو الأميرة فوزية وراديو فاروق وراديو فؤاد وراديو فريد وراديو مصر الملكية وراديو مصر الحرة وراديو سابو وراديو فيولا وراديو أبو الهول وراديو نفرا وراديو مصر الجديدة وراديو القاهرة وراديو حبش وراديو ماجستيك وراديو رمسيس وراديو لويس وراديو ماجزين إجيبسين ... وكانت المنافسة على أشدها بين تلك المحطات الأهلية التجارية، ومعظم برامجها ترفيهية منخفضة المستوى، (انظر في ذلك الفن الإذاعي، المرجع الثاني السابق، ص 8-11؛ وكذلك الوسائل الصحفية، مرجع سابق، ص 50).

وتتولى تشغيلها شركة (ماركوني التلغرافية اللاسلكية) البريطانية لحساب الحكومة المصرية[1].

ولقد دب الخلاف بين الرؤساء الإنجليز والموظفين المصريين، وعلى رأسهم مدير الإذاعة المصري (محمد سعيد لطفي)، الذي كان قد عين مديرًا للإذاعة بجانب المدير الإنجليزي، وبدافع من الوطنية أبى المصريون أن يذعنوا للتصرفات الاستعمارية لهؤلاء الإنجليز[2]، ويقال إن (محمود فهمي النقراشي باشا) في أثناء توليه رئاسة الوزارة المصرية، استمع يومًا إلى أحد المذيعين الإنجليز، يذيع كلامًا ضد مصر في البرنامج الأوربي، فطلب من وزير الشئون الاجتماعية، الذي كان يشرف على الإذاعة في ذلك الوقت، اتخاذ اللازم فورًا لتمصير الإذاعة في أسرع وقت ممكن.

فتقدمت وزارتا الشئون الاجتماعية والمواصلات بمذكرة إلى هيئة قسم الرأي بمجلس الدولة في 12 فبراير 1947، تطالب فيها بإلغاء عقد شركة ماركوني؛ لأن الحالة أصبحت تدعو إلى قيام الحكومة بإدارة محطات الإذاعة اللاسلكية المملوكة لها، وأن الظروف التي سوغت إسناد هذه المهمة إلى شركة ماركوني، لم تعد قائمة، وبذلك تستطيع الحكومة توجيه الإدارة توجيهًا يتحقق على أكمل وجه.

---

(1) جاء في مذكرة وزارة المواصلات المقدمة إلى مجلس الوزراء المصري في 15 يوليو 1932: "أنه نظرًا لعدم توفر الوسائل الحكومية اللازمة لتشغيل المحطة، رأت الحكومة أن تعهد إلى شركة ماركوني بتشغيلها نيابة عنها، بمقتضى عقد مدته عشر سنوات من بدء التشغيل، نظير 60٪ من حصيلة رسوم أجهزة الاستقبال" (120 قرشًا للجهاز سنويًا). ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية جدد العقد مرة ثانية لمدة خمس سنوات أخرى. ولكن بشروط تسمح بإلغائه في أي وقت بالتفاهم بين الطرفين. ولم يشر العقد إلى مهمة الإذاعة الإخبارية، ونص على أن هذه المهمة تثقيفية وترفيهية فقط. وبعد حوالي شهر من بدء التشغيل بدأت الإذاعة تقدم نشرتين إخباريتين في الثانية والنصف ظهرًا وفي الثامنة والنصف مساء. وكانت النشرات تعد بالإنجليزية ثم تترجم إلى العربية؛ لأن اللغة الإنجليزية كانت هي المستعملة داخل الإذاعة؛ لأن مديرها وكبار موظفيها من الإنجليز.

(2) على سبيل المثال عندما ألقى علي ماهر باشا خطبة في مجلس الشيوخ، وأعلن فيها "أن معاهدة عام 1936 التي جعلت من مصر حليفًا لبريطانيا، لا تعني أن نكون ملزمين بدخول الحرب إلى جانب بريطانيا"، أصدر السفير البريطاني في مصر إلى مدير الإذاعة الإنجليزية الأمر بمنع إذاعة الخطبة، ولكن مدير الإذاعة المصري أصر على إذاعة الخطبة، وهدد المدير الإنجليزي بأن منع إذاعتها سيزيد الشعور الوطني ضد الإنجليز، وسيقلب الوضع إلى ثورة.

وفي 4 مارس 1947، قررت وزارة الشئون الاجتماعية المصرية إنهاء عقد شركة ماركوني، لتبدأ مرحلة تمصير الإذاعة، وأنشأت لها إدارة مستقلة، يشرف عليها مجلس أعلى، يمثل وزارة الشئون الاجتماعية، ووزارة المواصلات، ووزارة الداخلية، ووزارة الخارجية، ووزارة المعارف العمومية، ومصلحة التلغراف والتليفونات، والإذاعة اللاسلكية، ويمكن اعتبار ذلك اليوم (4 مارس 1947) التاريخ الذي زالت فيه السيطرة البريطانية على هذا المرفق الخطير[1].

وكانت الجزائر هي الدولة العربية الثانية بعد مصر، التي عرفت الإذاعة، وذلك عام 1925 أيضًا، عندما قام أحد الفرنسيين بإنشاء محطة إرسال. وفي 28 أكتوبر 1962 أصبحت الإذاعة خاضعة لإشراف الحكومة الجزائرية بعد الاستقلال .. وفي عام 1928، بدأت الإذاعة المغربية بثها في (الرباط) العاصمة .. ولم تعرف تونس البث الإذاعي إلا في عام 1935، بواسطة محطات للبث ضعيفة المدى، أقامها بعض الأشخاص، واعتبارًا من 31 مارس 1957، انتقلت إدارة الإذاعة إلى الحكومة. وفي 25 أبريل 1957 أصدرت الحكومة التونسية مرسومًا جعل الإذاعة للدولة دون غيرها.

وقد عرفت (العراق) الإذاعة في عام 1936 .. وكانت أول محطة إذاعة عرفتها (لبنان) قد أنشأتها حكومة الانتداب الفرنسي في 3 سبتمبر 1938؛ وذلك للرد على دعاية ألمانيا النازية، الموجهة إلى سوريا ولبنان من القسم العربي في راديو برلين. وفي سنة 1946، سلمت فرنسا هذه المحطة إلى الحكومة اللبنانية رسميًّا، ويعود تاريخ الإذاعة في ليبيا لعام 1939، حين أنشأ

(1) أعلن وزير الشئون الاجتماعية من خلال الميكروفون يوم أن تسلمت الحكومة المصرية الإذاعة من شركة ماركوني: أن الدولة ستعمل على وضع النظام الأساسي للمحطة، وتعديل البرامج تعديلا شاملا، سواء من ناحيتها الإخبارية، أو من ناحية التوجيه الثقافي والعرض الموسيقي، وأن النظام الجديد يقضي بإنشاء قسم للأخبار، يمد الإذاعة بالأخبار الصادقة التي يأتي بها مراسلون في الداخل والخارج، وكذا معلقون سياسيون ودبلوماسيون، كما هو حادث في معظم الإذاعات في العالم .. وبدأت ملامح التمصير تظهر شيئًا فشيئًا في الإذاعة؛ فقد عدل الأسبوع الإذاعي ليكون ابتداء من يوم السبت من كل أسبوع، بدلا من يوم الاثنين .. كما حل الموظفون المصريون محل الأجانب تباعًا. وقد عاصرت هذه المرحلة أحداث مهمة، من أبرزها حرب فلسطين سنة 1948، سجلتها الإذاعة، وخاصة بطولات رجال الجيش المصري على أرض فلسطين. كما شهدت أحداث إلغاء معاهدة 1936 في 26 أكتوبر 1951، ومطالبة القوات البريطانية بالجلاء عن منطقة القناة .. وكذلك قيام ثورة 23 يوليو 1952، وكانت الإذاعة هي أو ل وسيلة إعلام تنقل للمصريين وللعالم قيام الثورة.

المحتلون الإيطاليون محطة في مدينة طرابلس تذيع بالإيطالية. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أنشئت محطة أخرى في مدينة بنغازي، وبعد استقلال ليبيا أنشئت في 28 يوليو 1958 محطة قوية باسم (خدمة الإذاعة الليبية).

وبدأت أول محطة إذاعة في (السودان) بثها في أبريل عام 1940 .. وبدأ البث الإذاعي في (البحرين) أيضًا عام 1940 .. وأنشئت محطة إذاعة في (سوريا) عام 1941 بعد انسحاب القوات الفرنسية الموالية لحكومة فيشي[1]، ودخول القوات البريطانية، ومعها القوات الفرنسية الموالية لحكومة فرنسا الحرة، برئاسة الجنرال شارل ديجول .. وعرف (الصومال) الإذاعة عام 1943 .. وعرفت اليمن الإذاعة منذ عام 1947 .. وبدأ الإرسال الإذاعي في (الأردن) في رام الله في 24 أبريل عام 1948، ثم افتتحت إذاعة أخرى في عمان عام 1956.

وفي (المملكة العربية السعودية) افتتحت أول محطة إذاعية بمدينة جدة في أول أكتوبر 1949، واستمر البث من أستوديوهات جدة إلى عام 1965، عندما بدأ البث أيضًا من إذاعة الرياض العاصمة في 3 يناير 1965، وبذلك أصبحت للملكة إذاعتان؛ الأولى في جدة، والثانية في الرياض، وفي 23 أغسطس 1979 تم دمج وتوحيد البث الإذاعي من جدة والرياض معًا، ثم في 18 أكتوبر 1982 انفصل بث البرامج من إذاعة الرياض عن بثها من إذاعة جدة، وبدأ بث البرنامج العام مستقلا من الرياض، وافتتح في جدة في الوقت نفسه البرنامج الثاني، وتم توحيد إذاعة القرآن الكريم لتبث برامجها من الرياض؛ حيث كانت قبل ذلك إذاعتان في الرياض وفي مكة المكرمة منذ 16 مارس 1972، وكانت توجد قبل ذلك إذاعة نداء الإسلام في مكة المكرمة منذ 11 مايو 1962.

---

(1) مدينة بوسط فرنسا، تشتهر بينابيعها الساخنة، ولمياهها المعدنية شهرة في علاج اضطرابات الكبد والمعدة، كانت مقر "حكومة فيشي" (1940 – 1944)، التي حكمت فرنسا بعد سقوط باريس في الحرب العالمية الثانية في يد الألمان، وقد ألفها المارشال بيتان. وكان نفوذها الفعلي مقصورًا على الجزء الذي تحتله ألمانيا من الأراضي الفرنسية، وعلى الأجزاء التي لم تخضع لحكومة "فرنسا الحرة"، برئاسة شارل ديجول من أراضي الإمبراطورية الفرنسية فيما وراء البحار. أصبحت هذه الحكومة أداة لألمانيا في يد بيير لافال وجان فرانسوا دولان. وبعد غزو الحلفاء لشمال إفريقيا (نوفمبر 1942)، احتل هتلر كل فرنسا. وظلت حكومة فيشي حكومة شكلية، ولجأت إلى ألمانيا عام 1944، ثم انهارت عام 1945 بعد تحرر فرنسا.

وبدأ البث الإذاعي في (الكويت) في مطلع عام 1951 .. وبعد استقلال (موريتانيا) عن فرنسا في 28 نوفمبر 1960 أصبح لها محطة إذاعة خاصة بها في العاصمة نواكشوط، وذلك في عام 1961 .. وبدأت إذاعة (قطر) بثها في 25 يونيو 1968.

وفي (الإمارات العربية المتحدة) [1] كانت (دبي) أول إمارة قبل قيام هذا الاتحاد، تنشئ لها محطة إذاعة منذ عام 1966، وتلتها (أبو ظبي) في 25 فبراير 1969، وعندما قام هذا الاتحاد في 2 ديسمبر 1971 أصبحت (إذاعة أبو ظبي) تعرف باسم (إذاعة صوت الإمارات العربية المتحدة من أبو ظبي) .. وافتتحت أول محطة إذاعة في (سلطنة عمان) في العاصمة مسقط، في 23 يوليو 1970، بالإضافة إلى إنشاء محطة أخرى في (صلالة) في نوفمبر من العام نفسه، وجدير بالذكر أن بعض إذاعات الدول العربية أعضاء في (اتحاد هيئات الراديو والتليفزيون القومية الإفريقية (URTNA)، وبعضها الآخر أعضاء في (اتحاد الإذاعات الآسيوية (ABU)، السابق الإشارة إليهما، وجميع الإذاعات العربية أعضاء في (اتحاد إذاعات الدول العربية) (ASBU)، وكذلك أعضاء في (اتحاد إذاعات الدول الإسلامية) (ISBO)، كما يوجد تعاون بين تونس والجزائر والمغرب في مجال الإذاعة، ضمن إطار (المغربفزيون) وفيما يلي نبذة مختصرة عن كل من هذين الاتحادين والمغربفزيون:

1- اتحاد إذاعات الدول العربية (ASBU) [2]

Arab States Broadcasting Union:

تأسس هذا الاتحاد في عام 1969، ومقره في القاهرة، ومركزه الفني في الخرطوم بالسودان، وتمنح عضويته الكاملة للإذاعات العاملة في الدول العربية الأعضاء في جامعة الدول العربية .. وهو بهذا اتحاد إقليمي، يضم الدول الناطقة باللغة العربية، ويعمل تحت مظلة جامعة الدول العربية.

---

(1) يضم هذا الاتحاد الذي أنشئ في 2 ديسمبر 1971 سبع إمارات هي: أبو ظبي - دبي - الشارقة - عجمان - أم القوين - الفجيرة - رأس الخيمة.

(2) الإعلام الدولي بالراديو والتليفزيون، مرجع سابق، ص 159، 182، 183.

وليس للاتحاد أهداف تجارية، ولكن يهدف إلى زيادة قدرات الدول العربية الإذاعية، وتبادل الخبرات والمعلومات المفيدة للمنظمات الإذاعية، وتنسيق استخدام ترددات الراديو في المنطقة العربية، وتوحيد موقف الدول العربية في المؤتمرات الدولية. وفي الجلسة الثانية للجمعية العمومية للاتحاد، التي عقدت سنة 1970، وافق الأعضاء على ميثاق الإذاعات العربية، الذي وضع أسس التعاون الإذاعي في العالم العربي، خاصة تلك المتصلة بتحقيق الأهداف القومية، وحماية القيم الدينية والأخلاقية، وتطوير الثقافة والتعليم، ومسئولية الإذاعيين والإعلان الإذاعي.

2- اتحاد إذاعات الدول الإسلامية (ISBO)[1]

Islamic States Broadcasting Organization:

أنشئ هذا الاتحاد عام 1977، ومقره في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، ويضم 42 عضوًا من المنظمات الإذاعية في الدول الإسلامية، وهو منبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، وهدفه نشر رسالة الإسلام، والتنسيق بين الإذاعات الإسلامية الأعضاء، وتبادل الخبرات والمعلومات المفيدة لها.

3- المغربفزيون (التعاون التليفزيوني بين تونس والجزائر والمغرب)[2]:

يوجد تعاون في مجال الإذاعة بين تونس والجزائر والمغرب، ضمن إطار (المغربفزيون)، الذي بدأت أول بادرة لإقامته بين الدول الثلاثة في 31 مايو 1966م. ويلاحظ أن هناك تبادلا نشطًا بين البلدان الثلاثة عن طريق البرامج الأسبوعية واللقاءات الشهرية، ولا يتوقف هذا التبادل إلا في خلال الأزمات السياسية التي تمر بها تلك الدول. كما يتم التعاون في مجال تبادل منتجي البرامج والإنتاج المشترك والدراسات التقنية والحلقات الدراسية، وإقامة حفلات موسيقية يتم نقلها مباشرة بين البلدان الثلاثة؛ نظرًا لشغف هذه البلاد بالموسيقى الأندلسية وخاصة المغرب.

---

(1) المرجع السابق، ص 161؛ وكذلك: قاموس المصطلحات الإعلامية "للمؤلف"، مرجع سابق، ص 187.

(2) الإذاعات العربية، مرجع سابق، ص 222، 223؛ وانظر تفاصيل أخرى في موضعه من الكتاب تحت العنوان نفسه في الفصل الأول من الباب الرابع.

أهمية الإذاعة ومميزاتها[1]:

لقد ظلت الإذاعة ينظر إليها في العالم، على أنها وسيلة ترفيهية بالدرجة الأولى، حتى عام 1936، عندما أذاع (الملك إدوارد الثامن)[2] تنازله عن العرش البريطاني، من أجل (المرأة الأمريكية التي أحبها)، فمنذ ذلك الوقت تحولت النظرة الترفيهية للإذاعة إلى نظرة إخبارية.

وقد ظل العالم يتابع قصة الملك إدوارد الثامن، عن طريق الإذاعات فترة طويلة حتى جاءت أزمة ميونخ، وإعلان الحرب العالمية الثانية[3]، حين بلغت الإذاعة ذروة أهميتها في جميع أنحاء العالم.

ومنذ ذلك الحين أخذت الإذاعات ترسخ وتتطور شيئًا فشيئًا؛ لتأخذ أشكالها التقليدية المعروفة، حتى أصبحت الإذاعة حاليًا من أشد وسائل الإعلام الجماهيرية فاعلية وأهمية، وتلعب دورًا خطيرًا في تشكيل عقلية الجماهير العريضة .. وتحظى الإذاعة بمجموعة من المميزات والخصائص، التي تنفرد بها عن سائر وسائل الإعلام الجماهيرية الأخرى. ومن أهم هذه المميزات والخصائص ما يلي:

---

(1) مراجع هذه الجزئية هي: النظم الإذاعية في المجتمعات الغربية، مرجع سابق، ص هـ، ص 3؛ وكذلك وسائل الاتصال، مرجع سابق، من ص 255 حتى ص 271؛ وأيضًا الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مرجع سابق، ص 41 - 45؛ وكذلك وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، مرجع سابق، ص 147 – 151؛ وكذلك الخدمة الإخبارية في الإذاعة الصوتية، مرجع سابق، ص 18 – 21؛ وكذلك حرفية الفن الإذاعي، مرجع سابق، ص 8 – 10؛ وكذلك أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته، مرجع سابق، ص 23–25؛ وكذلك فوزية فهيم، الفن الإذاعي العدد (51) من سلسلة (كتابك) التي تصدرها دار المعارف بالقاهرة، ص 23 – 29؛ وكذلك عمر الخطيب، الإعلام التنموي (الرياض الطبعة الأولى 1983)، ص 57 وما بعدها؛ وكذلك محمد إسماعيل محمد، الكلمة المذاعة، القاهرة، النهضة المصرية 1960، ص 25 - 32.

(2) هو أكبر أبناء الملك جورج الخامس، صار ملكًا لبريطانيا عام 1936 بعد وفاة والده الذي حكم بريطانيا من عام 1910 حتى 1936، وقد عجلت قضية زواجه من (واليس وور فيلد سمبسون، دوقة وندسور) بوقوع أزمة بينه وبين الوزارة التي كان يرأسها ستانلي بالدوين، ونجم عن خوفهم من مخالفة الأصول الدستورية إجبار الملك في عام 1936 على الاستقالة، فتزوج من (واليس وورفيلد سمبسون) بصفته دوق وندسور (انظر الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص 103، 661).

(3) وقعت الحرب العالمية الثانية في عام 1939 حتى 1945 بين قوات المحور (ألمانيا – إيطاليا – اليابان) وأنصارهم، وقوات الحلفاء (بريطانيا – فرنسا – أمريكا – روسيا) وأنصارهم، وانتهت بانتصار الحلفاء واستسلام (إيطاليا) في سبتمبر 1943، و (ألمانيا) في 7 مايو 1945، و (اليابان) في 14 أغسطس 1945، وبذلك انتهت الحرب العالمية الثانية.

أولا: الإذاعة هي الوسيلة الوحيدة القادرة على تخطي الحواجز الثلاثة المهمة، وهي: الأمية، والمسافة، وقصور وسائل المواصلات، وأصبحت بشكل خاص وسيلة كبيرة الأهمية في الدول النامية التي تنتشر فيها الأمية، وينقصها وسائل المواصلات المتكاملة التي تربط جميع أجزاء المجتمع بعضه ببعض .. فما تبثه الإذاعة يصل عبر موجات الأثير، إلى كل بقعة في أرجاء الأرض، بواسطة الموجات شديدة القصر، وبذلك تتخطى الحواجز: المكانية، والثقافية، والجنسية.

(أ) فإن فاعلية الاتصال الإذاعي تتجاوز الحواجز المكانية، وقد ثبت علميًّا أن موجة الأثير تدور حول الكرة الأرضية ثماني مرات في الثانية، أي بسرعة تعادل سرعة الضوء، متخيطة في ذلك الحواجز الجغرافية، والتضاريس الطبيعية، والمسافات الشاسعة، وبذلك يستطيع المصلحون الاجتماعيون والقادة السياسيون وغيرهم الوصول إلى الجماهير العريضة من المستمعين أينما وجدوا.

وهذا ما نحن كمسلمين في حاجة ماسة إليه؛ لنوصل دعوة الإسلام إلى جميع الشعوب بلغاتها الحية، وخاصة الشعوب الإسلامية التي مزقتها مناهج البشر وأهواؤهم، فهذه الشعوب بحاجة إلى التذكير بالمنقذ الذي يخلصهم مما هم فيه من ضياع وفرقة.

فلقد انتشر الجهل بالإسلام في كثير من البلاد التي يشكل المسلمون فيها الأغلبية العظمى لسيطرة فئات من أعداء الإسلام عليها؛ وبذلك عظمت المسئولية بالنسبة للقادرين على التبليغ والبيان.

وبما أن (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، فإن استخدام الإذاعة في هذا المجال يصبح واجبًا؛ لتبليغ الدعوة للموطن الذي لا نستطيع إبلاغها إليه؛ إما لبعده أو لسيطرة النظام الكافر عليه؛ لأن وسائل الإعلام الأخرى مثل الكتاب أو الجريدة أو المجلة، تمنع من الدخول بقوة الحاكم المتسلط على هذا البلد.

(ب) كما أن فاعلية الاتصال الإذاعي تتخطى الحواجز الثقافية؛ حيث يصل البث الإذاعي إلى جميع الفئات والطوائف، مهما اختلفت درجة التعليم بينها، سواء منهم الأمي أو المتوسط الثقافة أو المثقف. وتستهوي فئة الأميين بشكل خاص؛ لأنهم يتلقون منها الأخبار، والتعليق عليها، ويحصلون على الكثير من المعلومات العامة والخاصة. وسبب ذلك واضح، وهو أنهم لا يعرفون القراءة؛ ولذلك فهم لا يتعرضون للوسائل الإعلامية المقروءة، أما الراديو فإنه لا

يتطلب سوى الإصغاء، وقد يحمله معه إلى مكان عمله في الحقل أو المعمل، وبذلك يستمر سماعه له لفترات طويلة، وكل هذا يجعل الإذاعة ذات مسئولية خطيرة في تكوين الرأي العام، وتقوية العلاقات بين مختلف الفئات، وفي تحقيق مستوى معقول من الثقافة العامة.

(ج) كذلك فإن فاعلية الاتصال الإذاعي تتخطى الحواجز الجنسية، وحواجز الأجناس البشرية؛ فالإرسال الإذاعي يصل إلى الكبار والصغار، من الذكور والإناث. ويصل إلى مسافات شاسعة، وبذلك يمكن التحدث من خلال الإذاعة إلى مختلف الأجناس البشرية بلغاتهم الحية، حيث تجد جميع فئات العمر واللون واللغة طلبها من الرسائل المتعددة للاتصال الإذاعي .. وهذه الطاقة الإذاعية سلاح ذو حدين؛ إذ بالإمكان استخدامها من قبل قوى الخير والشر على حد سواء. وها نحن نشهد في هذا العصر انتقال الصراع الفكري الرهيب عبر موجات الأثير، حتى أصبح الإنسان يعيش في دوامة هذا الصراع.

ومهمة المسلمين أصبحت خطيرة، خاصة وأن المنصرين يقومون بجهد كبير لإبعاد المسلمين عن دينهم، وكذلك ما يبثه الملحدون والشيوعيون وغيرهم من الفئات الضالة المضلة، من سموم فتاكة للقضاء على الإسلام والمسلمين .. ومهمة المسلمين الأساسية هي استخدام هذه الوسيلة والاستفادة منها؛ لبيان أثر الدعوات الجاهلية في تمزيق وحدتهم، واستمرار الشقاق بينهم، والعمل في دعوة الناس بالإسلام؛؛ للتحرر من كل ألوان العبوديات، لتكون العبودية لله وحده، ودعوة المسلمين عبر هذا الجهاز للوحدة والتضامن، وذلك بالرجوع إلى الإسلام من جديد؛ عقيدة وشريعة؛ لأن هذا أساس وحدتهم ومنطلقها السليم.

ثانيًا: لقد ظل تأثير الكلمة المنطوقة محدودًا بطاقة الصوت البشري، وبمدى ما يمكن أن يصل إليه هذا الصوت من الإسماع، إلى أن تم اكتشاف مكبرات الصوت، التي توصل الكلمة المنطوقة إلى عدد أكبر من الآذان. ولكن الكلمة المنطوقة بلغت قمة التأثير وذروة القوة، بعد اكتشاف الراديو؛ فقد خلص الكلمة المذاعة من كل ما يمكن أن يعوق انتشارها من قيود، وأفسح أمامها المجال، وجعلها تتسلل إلى المنزل والمكتب أو المقهى أو النادي، وتصل إلى أماكن نائية كالصحاري والجبال، وتخترق الحواجز والسدود، وتفرض نفسها على أذن المستمع فرضًا .. فإذا علمنا أن موجة الأثير القصيرة تدور حول الكرة الأرضية ثماني مرات

في الثانية، أي بسرعة تعادل سرعة الضوء، أدركنا أنها أصبحت - من غير شك - أعلى الكلمات شأنًا وأقواها أثرًا.

وهكذا أصبح من الممكن - عن طريق الإذاعة - نشر أنباء الأحداث التي تقع في العالم، بين جميع أركانه وكل أصقاعه في وقت قصير جدًّا، ودون أن يتمكن حائل أو رقيب من إعاقتها، أو الحيلولة دون سريانها وانتشارها، ويساعد على ذلك أيضًا تعطش الرأي العام العالمي للأنباء، ومطالبته المستمرة بحرية تداولها؛ حتى يقف أولا بأول على حقيقة الأمر، بالنسبة لكل المسائل والمشكلات الداخلية والخارجية على حد سواء.

ثالثًا: إن الاتصال عن طريق الإذاعة لا يحتاج إلى وسيط، والرسالة الإذاعية تصل مباشرة من المذيع إلى المستمع، ولا يحتاج الراديو إلى أي مجهود من جانب المستمع، فهو لا يتطلب تركيزًا كاملا لمتابعة برامجه. ولا يلزمه بالجلوس مقيدًا في مكان واحد؛ حيث إنه من الممكن للمستمع أن يمارس أي عمل يدوي أثناء استماعه للراديو .. وحيث إن غالبية الناس أصبحوا مشغولين، وليس لديهم وقت للتفرغ للقراءة أو المشاهدة، أصبح الراديو هو الوسيلة السهلة التي تبقيهم على علم دائم بما يدور حولهم من أحداث.

رابعًا: الكلمة المذاعة لها سحرها وتأثيرها الخطير، فهي تصدر من أقوى الوسائل في التأثير على الجماهير، ولها قوتها الإيحائية؛ فهي تصل إلى كل إنسان في كل مكان، وفي أي زمان. كما أن المادة الإذاعية تتميز بإمكانية تسجيلها وإعادة إذاعتها أكثر من مرة، وفي كل مرة تكسب قوة إضافية؛ مما يجعل لها تأثيرها الفعال على مستمعيها.

هذا علاوة على أن المستمع يستطيع - بواسطة الراديو - أن يتابع الأحداث المهمة فور حدوثها، ومن أماكن حدوثها، وأينما وجد الإنسان فإنه يمكن الوصول إليه عن طريق الراديو. كما أن الإذاعة أرخص الوسائل في نقل المعلومات والأخبار إلى كل أجزاء العالم، خاصة في الأجزاء النائية كالجزر المنعزلة، وقمم الجبال، وميادين القتال؛ حيث يوجد أناس في أشد الحاجة إلى الثقافة والمعرفة والترفيه.

ونتيجة لانتشار الإذاعة، فقد أصبحت ظاهرة الإحساس بالعزلة تكاد تكون منعدمة؛ فسكان الريف، والأماكن المنعزلة عن الناس أو عن العالم، جاء الراديو وقطع حبال الصمت،

وملأ الوحدة، وغير أسلوب حياة الفلاحين وغيرهم من الذين يضطرهم عملهم إلى البقاء بعيدًا في أماكن نائية.

خامسًا: أن موجات الإذاعة لا تكتفي بالتنقل في الفضاء، بل تبحث عن المستمع، وتسعى إليه في بيته، وتقتحم عليه خلوته في أي مكان، وتتسلل إلى حياته الخاصة، على عكس الحال بالنسبة للسينما والمسرح والمعرض والندوة، وما إليها؛ فهي وسائل يسعى إليها الفرد، ويذهب إلى مكان وجودها عندما يشاء .. أما الراديو فإنه ينتقل إلى بيته، ويدخل والأبواب والنوافذ مغلقة.

وصحيح أن لدينا حرية تركه مفتوحًا أو إغلاقه، إلا أن استسلامنا لإغرائه كبير، يضاف إلى ذلك سهولة نقله من مكان إلى آخر؛ لوجود أنواع عديدة منه وبأحجام مختلفة، فيوجد الجهاز (الترانزستور) صغير الحجم، الذي يحمل في الجيب أو اليد، إلى جانب أن الاستماع للبرامج يمكن أن يتم في المنزل أو في الأماكن العامة. أو خلال أوقات الفراغ، أو أوقات العمل أو السفر.

ويمكن أن يتم الاستماع انفراديًّا أو جماعيًّا، وغير ذلك من الأمور التي سهلت الاستماع كثيرًا، خاصة وأن الإرسال الإذاعي يتم من الصباح الباكر، ويستمر طوال النهار وإلى ساعة متأخرة من الليل. أو ربما يتم طوال الليل والنهار دون انقطاع، علاوة على وجود إرسال إذاعة ما في مختلف أنحاء العالم على مدار الساعة بصفة مستمرة.

سادسًا: تعتبر الإذاعة المصدر الرئيس للأخبار، سواء أكانت تعمل في دولة متقدمة أو دولة نامية، فمن خلال الإذاعة يستقي الناس أخبارهم اليومية، خاصة في الدول التي تتفشى فيها الأمية، أو تلك التي تقل فيها أعداد الصحف، أو المناطق التي لا تصلها الصحف بصورة منتظمة أو في الوقت المناسب لعدم توفر وسائل النقل السريع، أو بالنسبة لمن يعرفون القراءة من ذوي الدخل المحدود، لعدم مقدرتهم الشرائية على اقتناء الصحف أو الكتب.

فالإذاعة هي مصدر مهم للأخبار بالنسبة للملايين، خاصة في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. ولا ننسى ما نشاهده في الأحداث الكبيرة والأمور الجسيمة، عندما يتجمع الناس في موعد الأخبار حول أجهزة الراديو في الأندية والمنازل والشوارع والأماكن العامة، وإنصاتهم باهتمام لما يذاع.

فالإذاعة وسيلة سهلة سريعة، تجعل المستمعين إليها على علم بما يحدث حولهم؛ لأنها تتخطى الحدود والحواجز والسدود؛ لتنقل إلى المستمع إلى أي مكان، الخبر فور حدوثه، بل لحظة حدوثه، ومن مكان حدوثه مباشرة، فأحداث العالم تتلاحق في سرعة مذهلة، وتطير في كل مكان، وإلى أي مكان من خلال الراديو.

سابعًا: يتميز الإعلام الإذاعي بأن تأثيره يزداد عمقًا وخطورة، كلما كانت البيئة قليلة الحظ من الثقافة والتعليم، وكذلك كلما انخفض المستوى الاقتصادي والمعيشي للأفراد؛ وذلك لأن أجهزة الراديو تتوافر في غالبية البيوت، ولا يكاد يخلو منها مقهى أو مطعم أو سيارة أو قطار أو باخرة .. والإذاعة تقدم برامج عديدة منوعة، ترضي كل الفئات والأعمار .. فهناك برامج خاصة بالفلاحين، وأخرى خاصة بالعمال، وغيرها خاصة بالجنود والشباب والأطفال والنساء ... إلخ، أي أن الحصول على الخدمة الإذاعية ميسور جدًّا لدى جميع الفئات، وفي جميع الأوقات، وفي شتى الأمكنة.

ثامنًا: يتميز الراديو، بأنه يثير الخيال، ويساعد المستمع على التخيل .. فمع الراديو تختفي الصورة المرئية، ويتركز الانتباه في حاسة واحد فقط، هي حاسة السمع (الأذن)، والإنسان حينما يريد تركيز ذهنه في فكرة ما، فإنه يغمض عينيه، كأنه بذلك يتيح لذاكرته أن تنشط، ولمخليته أن تعمل بجد وقوة؛ حتى يستطيع أن يعمق في ذهنه تلك الفكرة بصورة أشد وأقوى، فلا ينساها ولا تضيع من ذاكرته ملامحها وتفصيلاتها الجزئية.

وهذا هو ما يفعله الراديو بجمهور المستمعين؛ فهو ينقل الرسائل الإعلامية بطريقة الترسيب في الذهن، عن طريق حاسة السمع وحدها، ويكون نتيجة ذلك أن تستقر محتويات الرسالة الإعلامية في ذهن السامع.

وليس هذا فقط، بل إن هذه الطريقة أيضًا تساعد المتلقي على المزيد من التصور والتخيل، وتقليب الفكرة على جميع وجوهها، فيصل إلى فكرة مستقرة ثابتة الجذور في مخيلته بدون تشويه ولا اهتزاز ولا تفرق.

تاسعًا: تعتبر الإذاعة أقوى سند للدولة، في دفاعها عن مطالبها، وشرح مواقفها المختلفة إزاء المشكلات الداخلية والخارجية، وإسماع صوتها للعالم أجمع، في كل مناسبة وفي كل وقت، وكلما وقع عليها عدوان، أو أحاق بها شيء.

ولقد مرت بمصر تجربة مريرة حين وقع العدوان الثلاثي عليها في 29 أكتوبر 1956، وكانت الإذاعة من أول الأهداف التي سدد إليها المعتدون ضرباتهم؛ حتى يسكتوا صوتها؛ لأنهم يعلمون أن الكلمة المذاعة إذا صدرت عن الحق، كان تأثيرها أقوى من مدافعهم وطائراتهم ودباباتهم.

وتستخدم الإذاعة في وقت الحرب كذلك لتوصيل التعليمات إلى وحدات الجيش المقاتلة.. ففي يوم 8 يونيو 1967 – على سبيل المثال – أذاعت القيادة العليا للجيش المصري النداء التالي إلى بعض وحداتها المقاتلة: "جلال وحلمي .. عودا إلى قواعدكما"، وتكرر هذا النداء عدة مرات .. وفي حرب السادس من أكتوبر 1973، استخدمت الإذاعة المصرية لتوجيه النداءات للمقاتلين .. ومن أمثلة تلك النداءات ما أذيع من (صوت العرب) يوم 16 أكتوبر 1973: "من قيادة الأرض المحتلة إلى كامل العنصي إلى نزار أبو فرج، إلى فهيم أبو غزالة .. الشمس مشرقة، حطموا الأغلال" .. و "من دمشق إلى صلاح الدين .. نفذ الخطة (57) قيادة الأرض المحتلة".

عاشرًا: تتوفر للإذاعة – إلى حد كبير – فرصة السبق الإخباري على وسائل الإعلام الأخرى؛ فالإرسال الإذاعي متصل على مدار اليوم، ولا يحتاج إذاعة خبر ما – إذا استثنينا ظروف الرقابة – لأكثر من قطع البرنامج، وفتح الميكروفون على الهواء؛ لإذاعته في اللحظة ذاتها، أما بالنسبة للصحيفة، فإذا أصدرت ملحقًا من أجل خبر مهم، فتحتاج إلى ما لا يقل عن ساعتين.

حادي عشر: تعتبر الإذاعة بمثابة جامعة شعبية كبيرة على الهواء .. وهي تمتاز عن غيرها من الجامعات، بأنها لا تتقيد بمكان، ولا بزمان، وأن المنتسبين إليها يعدون بالملايين؛ ذلك أنها تخاطب المتعلم والأمي، والأماكن النائية والمنعزلة التي لا تصل إليها سيارة أو قطار أو طائرة أو باخرة.

ومن ثم فقد اتجه الاهتمام في جميع دول العالم، إلا استغلال الإذاعة في نشر الثقافة بين مختلف طبقات الشعب، وتوجيهه في شتى نواحي المعرفة، عن طريق إعداد برامج في العلوم والآداب والفنون، منسقة تنسيقًا يحقق أكبر فائدة منها، وعن طريق دعوة كبار العلماء والأدباء والمتخصصين في كل فرع من فروع المعرفة، إلى التحدث في كبريات المسائل التي تشغل بال

العالم عامة، والتي تعرض للوطن على وجه الخصوص، وتهدف هذه الأحاديث إلى الاهتمام بالمواطن في حياته اليومية، وما يعرض له من مشكلات اقتصادية، واجتماعية، ومنزلية، وتربوية ... إلخ.

وتهتم الإذاعات أيضًا بتزويد الشعب أولا بأول، بأخبار الأحداث المهمة الداخلية والخارجية، ونشر الأخبار الصحيحة عن الوطن في جميع أنحاء العالم، مع التعليق عليها بما يتفق ووجهة نظرها، ودحض ما يشاع عنها من مفتريات وأكاذيب، ومقاومة الدعايات المضادة في الداخل والخارج، وشرح القضايا الوطنية في كل النواحي الثقافية والفنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ حتى يقف المواطن والأجنبي على السواء على الحقيقة ومدى النهضة التي وصلت إليها البلاد.

ثاني عشر: وبالإضافة إلى ما ورد في البند السابق، فإن الراديو يتمتع بالاشتراك مع التليفزيون، بقدرات كبيرة على المساهمة في حل المشكلات الخاصة بالتحسين النوعي، والتوسع الكمي للنظم التعليمية المدرسية الرسمية، وخاصة في الدول النامية .. فلا يخفى على أحد حالة فصول المدارس حاليًا في تلك الدول، والتي تضم أعدادًا كبيرة من التلاميذ، إلى جانب زيادة عدد السنوات الدراسية، وقلة عدد المدرسين الأكفاء، وقلة المباني وضيقها، وغير ذلك من المعوقات الكثيرة .. ويستطيع الراديو أن يساهم في عملية إثراء الدروس التي يقدمها مدرس الفصل، في حالة ما إذا كانت المدارس متوفرة، ومزودة بكل حاجاتها من المدرسين المؤهلين، وعلى ذلك تعمل البرامج المذاعة على تدعيم عملية التعليم، عن طريق شحنها بعناصر الاهتمام والتشويق والحيوية.

كذلك تستطيع الإذاعة القيام بالتدريس المباشر، خاصة في المواد التي لا يتوافر لتدريسها معلمون مؤهلون، أو حيث يوجد نقص أو قصور في المواد التعليمية اللازمة .. ويقوم المدرس بدور مهم في البرامج الإثرائية والتعليمية على حد سواء؛ إذ إنه يعد ويطبق مهاراته التعليمية؛ لكي يساعد الطلبة على استيعاب المعلومات الواردة في البرامج المذاعة.

وفي حالة عدم وجود مدارس أصلا، فيمكننا أن نتخيل الفصول الدراسية في الدول النامية .. ملتقى حول جهاز الراديو في الهواء الطلق، ويكفي استخدام مراقبين يتمتعون بالقدرة على القراءة والكتابة؛ للإشراف على الدراسة. والتعليم بهذا الأسلوب، قد لا يحقق

الغرض المطلوب، ولكنه - على أي حال - يؤدي في النهاية إلى تضييق الفجوة الخطيرة لانتشار الأمية في كثير من الدول النامية.

ويمكن فوق ذلك استخدام الراديو في مجال التعليم أو التدريب المهني، باقترانه بالتدريس بالمراسلة؛ حيث يعد الراديو الأداة الرئيسة المتوفرة للاتصال مع الجماعات المتناثرة في مناطق بعيدة، تتفشى فيها الأمية، وبذلك لا تترك هذه الجماعات في عزلة عن الحياة العامة، فالانتماء إلى الجماعة يساعد على بناء المواطن الصالح.

ولقد حققت برامج الإذاعة لتعليم اللغات في مختلف أنحاء العالم نجاحًا كبيرًا، وقد أدى ذلك إلى اعتبار الإذاعة أداة مناسبة، ومعترفًا بها في تعليم اللغات، والتدريب على التحدث بها.. وقد لا تهدف بعض برامج تعليم الكبار إلى تعليمهم كيف يتقنون لغة ما، ولكنها تستطيع أن تعلمهم كيف يتخاطبون مع بعضهم، بمعنى أنها تعلمهم لغة مشتركة، ويحتل هذا الهدف أهمية خاصة في الدول التي يوجد بها أقليات كثيرة، لا تتحدث اللغة الوطنية .. ويمكننا أن نتخيل أهمية ذلك، إذا علمنا - على سبيل المثال - أن دولة مثل الهند يوجد بها (12 لغة) في الأقاليم الرئيسة، وتوجد في كل إقليم لغوي عدة لهجات مختلفة.

ثالث عشر: وعندما يتجاوز الراديو الإطار الوطني، يصبح قوة عالية، تعادل قوة تسلله إلى العقول، وإلى القلوب .. فالموجات التي تنتشر فيما وراء الحدود، حاملة نداء الشعوب بعضها إلى بعض، حيث يستمعها مستمعون لا حصر لهم ولا عدد .. والكل يعلم الدور الذي قام به الراديو خلال الحرب العالمية الثانية .. وفي الحرب الباردة تحاول الدول المتعادية التشويش على موجاتها الإذاعية؛ وذلك لحماية مواطنيها من التأثر بدعايات الأعداء، والحيلولة بينهم وبين التدخل الخارجي. وإن الحرب الإذاعية القائمة بين الأنظمة الرأسمالية، والأنظمة الشيوعية، لأصدق برهان على الدور السياسي الذي يلعبه الراديو في عصرنا الحاضر .. ولقد تحول الراديو في بعض الأنظمة إلى سلاح حرب أيديولوجية ونفسية، وأن قادة أي بلد من بلاد العالم، يستطيعون إذاعة برامج موجهة إلى بلد أجنبي بلغته؛ ليصلوا إلى شعبه كما لو كان يعيش بين ظهرانيهم. وإذا كان الراديو يثير الشعوب بعضها على بعض، فإنه بالمقابل يدعوها إلى الوحدة، وإلى التضامن، والعمل من أجل السلام بدلا من الخلاف والتناحر، والحكومات وحدها هي التي في يدها أن تجعل من الراديو أداة سلام أو أداة حرب؛ لأنها هي التي تسيطر على الإذاعة في معظم الأحوال.

سلبيات الإرسال الإذاعي[1]:

إن الإعلام الإذاعي ليس عملية بسيطة ومباشرة، بمعنى أنها تحدث أثرها في الجماهير بطريقة تشبه إطلاق النار على شخص لإصابته، فالاتصال الإذاعي يتم من طرف واحد وسط سلسلة من الظروف المختلفة، التي قد تحول دون وصول الرسالة الإعلامية إلى المستمع بالصورة المرجوة، فالمرسل هنا يخاطب أفرادًا لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولا يستطيع أن يتلقى منهم ما يفيد استقبالهم وتقبلهم لرسالته.

ولقد أثبتت الدراسات أن الصورة التي يعتنقها الإعلامي عن الجمهور الذي يخاطبه، تؤثر على الطريقة التي ينظم بها مادته الإعلامية .. وإذا كان المرسل يختار الفئة التي يوجه إليها رسالته، فإن هذه الفئة – بدورها – ترفض وتختار ما تشاء من هذه الرسالة، وليس هناك من وسيلة لمعرفة ردود فعل المستمعين، وهم الهدف الأول والأخير للإذاعة، وطريقة تقبلهم للرسالة المسموعة، إلا عن طريق بحوث المستمعين، وهو نظام تأخذ به جميع الإذاعات المتقدمة؛ لإيجاد تفاعل مستمر بينها وبين سامعيها. وكما سبق أن رأينا أن الإذاعة لها مميزات عديدة، فإنها أيضًا لها سلبيات ومعوقات عديدة، نستعرض منها ما يلي:

أولا: الأسباب الفنية: وتنتج هذه المعوقات الفنية عن ضعف الإرسال، أو تداخل الموجات أو سوء الاستقبال الناتج عن العوامل الجوية، كما هو الحال في بعض المناطق؛ حيث لا تسمع الإذاعة على الموجات المتوسطة في الفترة من بعد ظهور الشمس بنحو ساعة إلى ما قبل غروبها بساعة؛ وذلك بسبب تأثر انتشار الموجة الشديدة لظهور الشمس التي تمتص الموجات السماوية الأثيرية امتصاصًا شبه كامل، وخاصة في المناطق الصحراوية، كلما بعدنا عن مراكز الإرسال.

ومن الممكن الوصول إذاعيًّا إلى هذه المناطق عن طريق الموجة القصيرة، إلا أنه من المتعذر على المستمع العادي، استقبال الإرسال على هذه الموجة؛ لما تحتاج إليه من جهاز استقبال جيد، وهوائي ثابت، وضبط للمحطة، بالإضافة إلى كثرة تعدد المحطات على ميناء

(1) اعتمدنا في هذه الجزئية على: (الفن الإذاعي للدكتورة فوزية فهيم)، مرجع سابق بتصرف، من ص 25 حتى ص 42.

جهاز الاستقبال؛ مما يتعذر معه على المستمع العادي التقاط المحطات بوضوح .. غير أنه بالإمكان تغطية هذه المناطق غير المستهدفة إذاعيًّا، عن طريق إنشاء محطات صغيرة لنقل الإرسال عن طريق الخطوط التليفونية في كل تجمع سكاني لا يقل عن عشرة آلاف نسمة.

ثانيًا: التشويش: والتشويش نوعان؛ النوع الأول: هو ما ينتج عن أي تداخل صوتي مع الرسالة المذاعة، مثل: رنين جرس وما إلى ذلك.

والنوع الآخر: هو ما تلجأ إليه الحكومات، لمنع مواطنيها من الاستماع إلى الإذاعات المعادية، وهذه الحالة لا تنطبق بالطبع على الإذاعات المحلية في الداخل، ولكنها تنطبق عليها إذا تعذر على المواطنين الموجودين في الخارج الاستماع إلى إذاعاتهم الوطنية للأسباب المذكورة. ونظرًا لما للإذاعات السرية أو العلنية المعادية، من أثر كبير في بلبلة الأفكار وتحطيم الروح المعنوية للأفراد، وخاصة عن طريق الأخبار، فقد عمدت الدول إلى منع الاستماع إلى هذه الإذاعات بشتى الطرق؛ كالتشويش، أو صنع أجهزة الاستقبال ذات الموجة المتوسطة فقط؛ حتى لا تسمع غير البرامج المحلية، أو عن طريق استخدام الإذاعة السلكية، كما كان يفعل الاتحاد السوفيتي إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. ومن هذه الطرق أيضًا تحريم بيع الأجهزة ذات الموجات القصيرة. كما كانت تفعل ألمانيا واليابان خلال الحرب العالمية الثانية أيضًا. وبالرغم من هذا التحريم الذي كانت مخالفته تعد جريمة عقوبتها الإعدام، كانت المحطات الأجنبية تسمع بشغف في الخفاء.

ويقال إن أول تشويش إذاعي في العالم حدث عام 1934 عندما وضعت حكومة النمسا صفارة قوية، على الموجة التي تذيع عليها محطة الإذاعة الألمانية؛ لتمنع الدعاية النازية من الوصول إلى الأراضي النمساوية، وبالرغم من إدانة الأمم المتحدة للتشويش الإذاعي، فقد اعتبرت بعض الدول مثل بولندا، أن لكل دولة الحق المطلق في حماية نفسها، ضد هذا النوع من الاعتداء، مثل حقها في منع تهريب المخدرات، وبيع كتب الدعارة، والتهريب عن طريق الأشخاص.

والمعروف أن الاتحاد السوفيتي (سابقًا)، كان من أكثر البلاد استخدامًا للتشويش الإذاعي، ويقال إن الاتحاد السوفيتي كان قد أنشأ ألف محطة للتشويش الإذاعي عام 1949، ويرى البعض أن التشويش عملية هدامة، سواء من الناحية المعنوية أو من الناحية المادية،

ويعتقدون عدم جدواها؛ لأن محطات التشويش غالبًا لا تستطيع تغطية جميع المناطق المستهدفة. ويرون أيضًا أن التشويش يحرم الفرد حق تلقي المعلومات، كما يثير الشكوك، ويساعد على تناقل ما يمكن الاستماع إليه من الإذاعات المعرضة للتشويش، وغالبًا ما تكون دعايات مسمومة، من الأفضل الرد عليها عن طريق تبصير الشعب بالحقائق وتحصينه بالأخبار الصحيحة.

كما أن عملية التشويش تحتاج إلى موجات قصيرة، ذات قدرة عالية، وهي بذلك تقلل من عدد الموجات المتاحة للإرسال على الموجة القصيرة، من الأفضل لو استخدمت لتقوية الإرسال. يضاف إلى كل ذلك، التكلفة الباهظة التي تتطلبها محطات التشويش؛ إذ تبلغ تكاليف إنشاء المحطة الواحدة منها، ما يعادل تكاليف إنشاء محطة للإرسال.

ثالثًا: العوامل الاقتصادية: وهي المتمثلة في عدم مقدرة الفرد على شراء جهاز استقبال، أو العجز عن دفع رسوم الحيازة، وخاصة في الدول النامية المعدمة، وتعمل الحكومات جاهدة على تخفيض أسعار أجهزة الاستقبال، كما يقوم بعضها بإلغاء رسوم الحيازة، وعلى سبيل المثال فقد ألغت مصر هذه الرسوم في سنة 1960، وتم فرض رسم زهيد على كل مستهلك للكهرباء.

رابعًا: الرقابة: وهذه الرقابة تفرض على ما يذاع من أخبار في وقت الحرب، في جميع البلاد تقريبًا، كما تفرض في وقت السلم في البلاد التي تتبع النظام الشيوعي في الإعلام.

خامسا: العوامل الاختيارية: وأهم تلك العوامل، فتح الجهاز وإغلاقه. وهذه العوامل تتأثر بموعد تقديم المادة الإذاعية، وكثيرًا ما يقال إن الفترة الزمنية التي يقدم فيها البرنامج الإذاعي أكثر أهمية من المضمون. كما تتأثر هذه العوامل أيضًا بما يقدم في الوقت نفسه من برامج في خدمات أخرى، بل بما يسبق هذه المادة أو يعقبها من برامج محبوبة أو مكروهة. كما قد يؤثر على التشجيع على الاستماع أيضًا صوت الشخص الذي يذيع وطريقة إلقائه. إلى جانب أن حوالي 75٪ من المستمعين يفعلون شيئًا آخر وهم يستمعون.

كل هذا ينبه إلى حقيقة ثابتة اليوم في جميع إذاعات العالم، وهي أن برامج الإذاعة – توقيتها وموضوعها، وأسلوبها، وطريقة عرضها – تبنى على العلم والدراسة؛ لتحقيق الهدف الذي تسعى إليه كل إذاعة، وهو استمرار العلاقة الإيجابية بينها وبين الجمهور؛ لزيادة أعداد

المستمعين، والاحتفاظ بثقتهم؛ فالمستمع يود دائمًا أن يجني أكبر قدر من الفائدة نظير أقل ما يبذل من مجهود.

وأخيرًا .. فإن عصر الراديو - الذي انتهينا الآن من استعراض تاريخه، منذ الإرهاصات الأولى لهذا الاختراع حتى الآن، بكل خصائصه ومميزاته وسلبياته - لم ينته بعد .. حيث لا يزال وسيلة الاتصال الجماهيرية الأوسع انتشارًا؛ لرخص ثمنه، وقلة تكاليفه، وسهولة نقله وحمله مع الإنسان أينما كان.. وما على الراديو إلا أن يجدد نوعيات البرامج التي يذيعها. ويبحث عن أساليب وخدمات جديدة غير الأساليب والخدمات التقليدية التي اعتادها الجمهور؛ حتى يستمر في أداء دوره الخطير في حياة البشرية عامة، وشعوب الدول النامية خاصة .. وهذا الدور يتمثل في المساهمة في تطوير تلك الشعوب وتنميتها، عن طريق ما ينقله الراديو إليهم من قيم، ومبادئ، وأفكار، ومعلومات؛ ليستنير الإنسان وتتسع آفاقه، ويعيش عصره، متأثرًا به ومؤثرًا فيه .. وهذا الدور المهم والخطير، يمكن أن تؤديه أية إذاعة في العالم، إذا توفرت لها الإمكانات التقنية، والبشرية، والمالية اللازمة، وهذا ما سيتضح لنا في الباب الرابع من هذا الكتاب.

وبعد أن سرنا مع الإذاعة المسموعة (الراديو)، منذ اختراع الراديو عام 1896، عندما تمكن ماركوني من استخدام هذه الوسيلة اللاسلكية للاتصال لأول مرة في التاريخ، وتطور استخدام هذا الاختراع في إنشاء الإذاعات في العالم في العشرينيات من القرن العشرين الماضي، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الأولى التي أجريت فيها التجارب في هذا الحقل .. بعد ذلك تقتضي طبيعة الكتاب وفق خطته أن نتحدث عن وسيلة اتصال جماهيرية مهمة أخرى، وهي الإذاعة المسموعة المرئية (التليفزيون)، وهذا ما سنتعرض إليه في الفصل التالي إن شاء الله.